الفلسفة العربية هل كانت؟ وبأي مفهوم؟

الفلسفة والمعرفة والمنطق وجه من وجوه البحث عن تفسير ظواهر الحياة

الفلاسفة العرب لم يختلفوا عن فلاسفة الغرب في محاولة تفسير الوجود

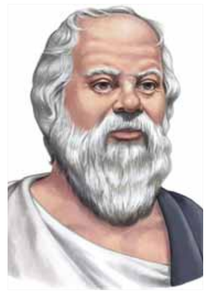
سقراط

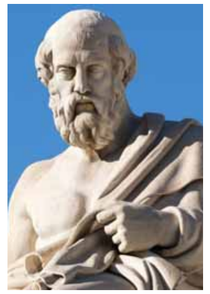
أفلاطون

ابن رشد

الغزالي

ابن كثير

| إسماعيل مروة

اجتمع عدد من المثقفين المنتمين إلى حضارات متعددة شرقية، واحد منهم كان عربياً، وهو من روى لي ما جرى، فأرادوا أمراً ما وهو الإعلاء من شأن الدين، وهو لا يحتاج أصلاً ذلك، والغمز من العروبة، ظناً منهم أن هذا العربي سيركن إلى ما أرادوه من غمز، فقال قائلهم: إن العرب لا يعرفون الفلسفة، وليس فيهم أي فيلسوف، فما كان من العربي السامع إلا أن قال بفطرته وحنكته: نعم ليس من العرب من فيلسوف بعد «نهج البلاغة»، وكلهم على مائدته، فساد الصمت، وانتهى المجلس بجواب مسكت كان من العربي الذي يعتدّ بعروبته، وحار الآخرون الجواب فلاذوا بالصمت!

الفلسفة والانتماء

إن هذه الحادثة التي رواها لي صديق عربي يعتز بعروبته، ويعرف جواهرها وخفايا دفعتني للبحث طويلاً في قضية الفلسفة والعرب والدين، وهل حقاً تفتقد العربية إلى الفلاسفة؟ وما ميادين الفلسفة؟ وكيف يتم تقويم الفلسفة؟ وما قيمة الفيلسوف؟ وكيف تقدر فلسفته بأصله أم بآليات تفكيره؟ اليوم نجد دارسين للفلسفة من العرب يفكرون بالمادية وغيرها، فهم يستخدمون آليات تفكير ليست منطقلة من آليات التفكير العربي، فيردون إلى الفكر الذي ينهجونه وليس إلى الأصل الذي ينتمون إليه.. وجل الفلاسفة الذين مروا بالحضارة العربية والإسلامية، مهما كانت نشأتهم رومية أو فارسية أو قبطية أو أمازيغية أو ما شئت من النشأة، كتبوا بالعربية، وتشربوا الدين والعقيدة، فهم انتماء وفكراً وتعبيراً ينتمون إلى الحضارة العربية والإسلامية ولا يصحّ أن تقول بانتمائه الأول، فسيبويه وإن كان مولى وغير عربي في أرومته هو واضع فلسفة اللغة، والذي اعترف له العرب بالفضل، ولم يروا بعد كتابه (الكتاب) أي كتاب في نظرية النحو واللغة يدانيه أو يصل إلى مرتبته ماذا نعده؟ إنه فيلسوف عربي خالص، أعطى العربية ذوب فكره وعلمه وترك أفضالاً على العربية عجز أبناؤها عن سبقه إليها، ومادته العلمية هي التي تحدد هويته وقيمته وبراعته، ومن الجهل بمكان أن يأتي صاحب أفق ضيق ليذال من سيبويه وأصله الأعجمي لمجرد ملاحظة هنا أو هناك، أو وجود نقص أو نسيان، وهذا الأمر ينطبق على جميع العلماء في اللغة والأدب والشعر والتفسير، كما لا يحق لصاحب فكر ضيق أن يأتي لينعى على العربية أن واضع نحوها ومنطقه غير عربي، وأن يحاول استرداد نسبة سيبويه إلى أصوله، لأن العالم الجليل اختار العربية وتتلمذ على شيوخها ومنهم أبو عمرو بن العلاء ليكون في هذه المكانة، و فضل العربية عليه أنها أعطته مكانة عجزت قوميته عن إعطائه إياها، ويمكن أن نردّ ذلك على المنهج المعروف بأن خدمة كتاب الله الكريم القرآن العظيم هي التي جعلته في هذه المكانة، فمنها جاء وإليها ينتمي ولا شيء غير ذلك.. فلا يضيره إن كان غير عربي، وفضله في العربية لا يمكن أن يؤخذ إلى قومية أخرى.

> النصوص التوحيدية كانت فاصلة للباحثين بعد تحديد المآل

الفلسفة والعلم والدين

مع أن الإسلام جاء وشعاره (لا إكراه في الدين) و(ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) إلا أن اختلاط العرب بالأقوام الأخرى، الذي نتج عنه الفرق والأحزاب والمذاهب المتعددة ضيق المسألة، ووضع حدوداً للفكر الإنساني، وبدأت مرحلة التكفير للمخالف في مرحلة مبكرة من تاريخ الإسلام السياسي، وليس الإسلام الفكري العقيدي والديني، وباتت عملية المحاسبة الفكرية على المخالفة واردة، وصار الإنسان يقتل لتهمة الزندقة، وما هو بزنديق، وإنما هو مخالف في الرأي والسياسة! فكم من إنسان مبدع قتل ولاحقته لعنات المؤرخين لأنه اتهم بالزندقة، وما بعد الزندقة من ذنب في رأي العامة والساسة والمؤرخين! فالفكر الديني مهما كانت النظرة إليه، أسهم إسهاماً كبيراً في تنظيم الحياة الفكرية إيجاباً برأي الأغلبية المطلقة، وسلباً برأي بعض النخب، وبعض هذه النخب فيها من الصلاح والتقى ما فيها، إذ يذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية قصة الحلاج الشاعر الصوفي وما تعرض له، وبعلميته المعروفة عنه يسجل ابن كثير شهادات العلماء في الحلاج، فهو مؤمن وصوفي وإيمانه صحيح برأي العلماء الثقة، وقتل الحلاج شرّ قتلة بسبب شعره، وادعاء كثيرين بأنه ادعى الربوبية، وقد نفى ذلك عن نفسه بنصّ كلامه عندما تمت مواجهته ومساءلته، ونفى عنه تلك التهمة التي لا تليق بمبدع ومؤمن الكثير من محبيه ومعاصريه والعلماء، هذه التهمة التي سبقت للقضاء على الحلاج، ويذكر ابن كثير الحكاية إذ يربط الراوي بينه وبين ابن المقفع، لكن ابن كثير يناقش الرواية والزمن الذي يفصل بين الرجلين ليؤكد أن الرواية ملفقة وموضوعة!

ومع ذلك سار بين الناس أن الحلاج كان على ما كان عليه، ولم يحظ حتى في الكتب على محاكمة عادلة.. إذ كان المقياس الذي اعتمدته الروايات هو الدين، وكل ما يرونه هم من موقعهم مخالفاً كانت الزندقة حكماً، ولو اجتمع علماء كثيرون على تبرئته والإشادة به.. وكذلك الأمر كان مع ابن جرير الطبري المؤرخ الثقة والمفسّر، والعالم بالحديث والقرآن، وهو من أجلّ من مرّ على العربية في التصنيف، إذ يذكره ابن كثير بكثير من الإجلال والتوقير، لكن يذكر كذلك موقف الحنابلة منه لأنه لم يقل برأيهم!! هذه أمور لا تتعلق بالفلسفة، وإنما تتعلق بالفكر والتأليف والتأريخ والأدب، فما بالنا عندما يتعلق الأمر بالفلسفة؟! لذلك كان (تهافت الفلاسفة) و(تهافت التهافت) والموقف من ابن عربي وابن رشد وغيرهما من الذين عرفوا بالفلسفة، إذ كانت الفلسفة التأملية والبحثية عند العرب والمسلمين قراءات لخدمة الدين الديني والوجود الإنساني وفق الناموس الذي حدده الإسلام والمفسرون والمحدثون، فتحول بذلك القول في الفلسفة إلى رجال الدين وعلماء التفسير والحديث، الذين انتقلوا من مواقعهم إلى موقع الفلسفة ليكونوا شموليين في المعرفة والعلم!

تصنيف الفلسفة العربية

بعد قراءات كثيرة ومناقشات مع عدد من المفكرين والفلاسفة في البحث وليس الصفة تم تصنيف الفلسفة الإسلامية بكثير من الحدّية فهذه فلسفة إسلامية، وتلك فلسفة غير إسلامية، ووصل الأمر إلى الحكم عليه على العلماء وفلسفاتهم من بينهم الغزالي وابن رشد وابن عربي، فوصف كل واحد منهم بأجلّ الأوصاف من أحبابه، وأقسى الأوصاف من معارضيه، وقد تتسم بعض هذه الآراء بعدم المعرفة والتعمق والقراءة، فمن لم يقرأ الغزالي عدّه فيلسوفاً دينياً وحسب، وكذلك عدوا ابن رشد خارجاً عن هذا الخط، وكلاهما حكم غير صحيح، فمن حق أي فيلسوف أن يحدد منطلقاته، والغزالي في أساسياته كان منطلقاً من الرؤية الدينية لذلك كانت فلسفته قائمة على محاولات التفسير الوجودي وفق النص الديني، وهذا لا يسوّغ لخصومه أن ينفوا عنه صفة الفلسفة، وهم أنفسهم يناقشون الفلسفة الأوروبية القديمة والحديثة، ويسبغون صفة الفلسفة على الفلاسفة الغربيين، مع أنهم من راسل إلى كانط وسواهم كانت آراؤهم ونصوصهم قائمة على النص الديني والعلاقة مع الكنيسة كانت تحكم أغلب النصوص الفلسفية لهم، وليس الأمر محصوراً بالفيلسوف وحياته كما عند الغرب، فعند الفلاسفة لا شيء، ينطلق من العدمية، ومناقشاتهم تقوم على الحياة والآراء والنص المقدس ضمناً لتفسير الكثير من القضايا الوجودية والمصير والمآل. وهل بالإمكان إغفال النص الديني؟

ارتباط الفلسفة بالدين

إن أي باحث ينكر على الفلسفة ارتباطها بالدين لا يملك المعرفة الحقة، فالفلسفة هي أهم العلوم ارتباطاً بالدين والعقائد، لأننا إذا عدنا إلى الفلسفة والمنطق والمعرفة في جذورها الأولى عند الإغريق، وربما إلى المرحلة الغيبية مع بدء الخليقة، فإنها بدأت لمناقشة قضايا الوجود والحياة والموت والخلود والتفكر والتدبر، وفي مرحلة كانت في البحث عن أساليب العيش والحياة، ولو وقفنا عند بعض الدارسين الذين يرون أن فكرة الألوهة هي حاجة بشرية، وبأن الفلاسفة اليونان في القرن السابع قبل الميلاد هم من عمل على بلورتها وصياغة المفهوم، لو سلمنا جدلاً بهذه الفكرة والبدايات، فهذا يعني الارتباط الوثيق بين الحياة والمصير والمآل، ولو عدنا إلى مرحلة لاحقة مع أفلاطون وسقراط وأرسطو، وفكرة المجتمع والمدينة الفاضلة، فإننا نلمس دون أدنى عناء التوجه نحو القيم التي تريد الهيمنة على المجتمع والسيطرة على الإنسان، مع كل الادعاء بأنها تريد تحرير الفكر، ولكون الفكر والفلسفة في البدايات تحققت لهم القضايا والبحوث وكانت فضاءات الحرية التي تقرؤها ونلمسها، وحتى في الجانب الأدبي والميثولوجي الأسطوري والملاحم كان الارتباط بالوجود، وإيجاد الموسغات لبعض المفاهيم من تعدد الآلهة إلى مشاركتها في مسرح الأحداث إلى تدخلها في صنع الحدث، وصولاً إلى خلق المفارقات المؤلمة في حياة الناس انطلاقاً من مفهوم جبل الأولمب الذي جعله الإغريق معادلاً لمفهوم السماء والألوهة!

وهذا يعني، حسب رؤيتي، بأن الفلسفة بارتباطها بالوجود والمعرفة والمنطق كانت من أجل الحياة وتثبيت دعائم الاستقراء وتعاقب الأجيال، والتأسيس لنظريات تقلسف الحياة، وتفسرها، وعندما ظهرت الديانات التوحيدية حدث ما يسمى بالنسخ إن جاز التعبير، وتم الانتقال، حسب الإدراك العقلي وتطوره والمنطق، الانتقال إلى مفهوم التوحيد والإله الواحد، وفي النص الديني في الكتب المقدسة الموجودة نجد ذلك الصراع للوصول إلى الإله الواحد سواء كان ذلك من خلال الطبيعة التي انتقلت من الحضارات القديمة، أم من خلال الأوثان التي تناسب بيئة ما، وجميعها كانت رحلة للبحث عن تفسير الوجود ومفهوم الألوهة.

ومع الديانات التوحيدية والكتب المقدسة تغيرت المفهومات، لكن الفلسفة في منطلقاتها وغاياتها بقيت، وهنا لا يجوز بحال من الأحوال أن نفصل الفلسفة عن الدين، والفرق الوحيد أنه في ظل الديانات التوحيدية انتفى الخلاف حول المآل، وتحولت الفلسفة للبحث في الواقع، ومحاولة تفسير العلاقة بين الحال والمآل، لذلك من الطبيعي أن نجد الفلاسفة الذين ينتمون إلى الديانات يقومون بالتفسير والتعليل حسب المآل الذي وجدوا أنفسهم عليه، وهذا لا يختلف عن بحث الإغريق الذين بحثوا في الطرق نفسها.

وربما من هذه النقطة نشأ الاعتقاد بأن الفلاسفة أو دارسيها أقرب إلى التحلل من الدين، لأنه ينظر إليهم حسب المرحلة الأولى من الفلسفة، وفي هذا الإطار وبعد الديانات التوحيدية لن نجد فيلسوفاً يخرج من إطار الفهم الديني أو محاولة تفسيره، بالموافقة أو بالرفض، وربما اتفقت الموافقة والرفض في نتاج الفيلسوف نفسه حسب المرحلة العمرية، ووفق الفهم والمؤثرات وربما المصلحة! فلاسفة الغرب كان حدهم الفاصل الفهم للنص الديني ومخالفته أو موافقته، وكان الحكم على إيمانهم وإلحادهم من هذا المنطلق، وكذلك الأمر مع الفلاسفة العرب الذين تجلى فهمهم في محاولة تفسير الحياة وظواهرها وفق النص القرآني، باعتبار المقدس لديهم مسلماً به وهو الفيصل الذي قيم تفسير أي ظاهرة انطلاقاً منه.

«خريف عُمر» يعيد المثنى صبح للدراما السورية

سلوم حداد وباسم ياخور في ثنائيتهما الثانية هذا الموسم

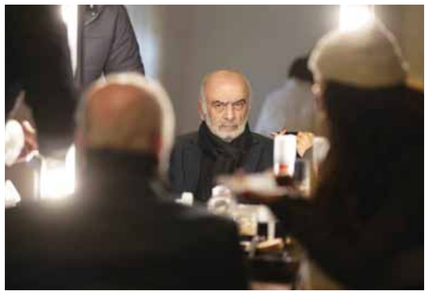

| وائل العدس

تستمر عجلة الدراما السورية بالدوران تحضيراً لموسم درامي زاخم خلال رمضان المقبل، امتداداً للنجاح والتألق اللذين كانا وما زالا عنوانين عريضين لدرامانا المحلية التي ستبقى المنافس الأقوى لمعظم الدرامات العربية الأخرى.

وما بين البيوت الشامية العتيقة، وقصص الحب والعائلة، تدور حكايا الدراما السورية، لينافسا هذا الخط في رمضان على الصدارة.

أحدث هذه المسلسلات التي ينتظر عرضها على الشاشة الرمضانية هو مسلسل «خريف عُمر» للمخرج المثنى صبح.

ويروي العمل حكاية ثلاثة أجيال تحكمها علاقات متشابكة تتواجه بشكل قدري في لعبة درامية شائقة تربط بين الماضي والحاضر.

وقد أنتجت هذه الحكاية عن ورشة كتابة بإشراف د. رانيا الجبّان وللكاتبين الشابين حسام شراباتي ويزن مرتجى في تجربتهما الأولى، كما شارك في كتابة النّص كل من الكاتبتين لمى عبد المجيد ويارا جروج.

ويشارك في أدوار البطولة كل من سلوم حداد وباسم ياخور ومعتصم النهار وقمر خلف وعبد المنعم عمايري وكارمن لبس وحسن عويتي وعلاء قاسم إضافة إلى آخرين.

عودة بعد غياب

لا يختلف اثنان على أن المثنى صبح قدّم للدراما مسلسلات اجتماعية غاية في الأهمية نذكر منها «جلسات نسائية، ليس سراباً، رقة عين، سكر وسط».

وبعد غيابه الموسم الماضي عن الدراما السورية لانشغالاته في الدراما العربية وتحقيق العديد من النجاحات فيها، يعود صبح ليقود دفة «خريف عُمر» في تحد جديد للدراما الاجتماعية.

علماً أن آخر مسلسل قدّمه في الدراما المحلية كان الجزء الثاني من مسلسل «سوق الحرير» بطولة سلوم حداد وبسام كوسا والكثير من النجوم.

ثنائية ثانية

يضم العمل اثنين من أهم النجوم في الدراما السورية هما: سلوم حداد وباسم ياخور اللذان سيجتمعان للمرة الثانية خلال هذا الموسم، إذ سبق لهما أن شاركا في دوري البطولة في المسلسل الشامي «العربجي» وهو من تأليف عثمان جحى ومؤيد النابلسي وإخراج سيف الدين سبيعي.

النجمان الكبيران سبق أن اجتمعا في مواسم في أعمال عدة، منها مسلسلا «ولاد البلد» و«على صفيح ساخن» العام الماضي، ومسلسلا «خاتون» و«الندم» عام ٢٠١٦.

وعودة للنهار أيضاً

طال غياب النجم معتصم النهار عن الدراما السورية بعدما حقق نجومية كبيرة في الدراما العربية المشتركة والمصرية عبر أكثر من عشرة أعمال نال من خلالها العديد من الجوائز، منها «صالون زهرة، بيروت ٣٠٣، المنصة، أسود فاتح، ما فيي، خمسة ونص، من الآخر».

«خريف عُمر» سيكون عمله الأول منذ آخر عمل صوره في دمشق وهو «فرصة أخيرة» عام ٢٠١٨ من تأليف وإخراج فهد مرعي وبطولة محمد الأحمد ودارين حمزة وأسعد فضة وفاديا خطاب ورضوان عقيلي إضافة إلى آخرين.

الثاني عشر

يعد هذا المسلسل الاجتماعي السابع هذا الموسم بعد «كاتون، مال القبان، صبايا ٦، مشاعر، تحت الرماد، عين الشمس»، والثاني عشر ككل إلى جانب خمسة مسلسلات شامية هي «زقاق الجن، العربجي، مربى العز، حارة القبة٣، باب الحارة ١٣».

عدا المسلسلات القصيرة مثل «احتمال، العرافة، فويس».

برجك اليوم 01/30

نجلاء قباني

الحمل

أنت ستكسب أي قضية تريدها ومرحك اليوم يجذب الآخرين لك وخاصة الشريك علماً أنك سريع التأقلم وتتغير بسرعة وفق الظروف وذهنك يعمل بطريقة صحيحة.

عاطفياً: كوكب الحب ينتقل في موقع جيد لتحب وتشعر أنك محبوب فقدم المحبة لمن حولك.

الثور

قد تناقش أموراً مالية أو عقارية أو تفكر في طلب مساعدة أو قرض من البنك أو تدخل مشاريع شراكة، والحقيقة أنك تشكو قلة الموارد المالية ويلزمك مزيد من السيولة.

عاطفياً: استفد من كل اللقاءات والعلاقات والتعارف الجديد الذي يزين حياتك.

الجوزاء

من المفيد أن تنظر لما حولك من صداقات أو من أمور عمليه لأنك سترى أن حالك جيد فأنت تبدأ اليوم مع قمر جديد ما يعني الكثير من الفرص والوعود والنجاحات.

عاطفياً: اليوم قد تفكر في ارتباط أو تحصل على علاقة منطقية أو ترتب وضع علاقة جميلة موجودة في حياتك.

السرطان

ربما تسبب الألم للآخرين إذا لم تحذر من كلمات قد تقولها والأسوأ إذا لم تكن تعنيها فليس الحل أن تجرح من يجرحك بل الحل أن تحاوره بهدوء لتبين له خطأه واختر يوماً إيجابياً لتحل مشكلاتك الطارئة. عاطفياً: هذا شهر متعب للأمور العاطفية والسبب هو العتاب والكلام والشائعات والتدخلات في حياتك سواء أكانت عاطفية أم شخصية.

الأسد

دعوة أو مناسبة تحضرها تشعر فيها بالفخر بإنجازاتك بعلاقاتك وبمحبة الآخرين وقد تفكر في سفر أو تجمع مرح أو دعوة لأصدقاء، لأنك تتمتع بحيوية وحماس وإشراق.

عاطفياً: اليوم جيد جداً لتمتين كل ما هو حقيقي أو لتضع النقاط على الحروف في حياتك العاطفية.

العذراء

انتبه قليلاً إلى أمورك فقد تشعر أنك مهتز وأن فاعليتك وتأثيرك قليلان على المحيط وعلى كل أنت متسرع قليلاً في الردود على أقوال وأخبار تسمعها أو محطات قد تعاني من بعض التعب. عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة وقد تؤثر نفسيتك ومشاكلك في أمورك ما يجعلك شارداً شكاكاً وقد تتهم ببرود المشاعر أو بأنك غير مهتم.

الميزان

قد تطرأ اليوم مشكلة بحاجة لحل سريع تحتاج لحلها لكامل طاقاتك وقدراتك فاليوم جيد وتملك فيه السيطرة على أعمالك وتحاول إنجاز الأعمال المؤجلة.

عاطفياً: لقاءات، اتصالات، سفر، وأنت في الفترة الأفضل للحديث والنقاش.

العقرب

يوم يمنحك المدح والتشجيع والاتصالات الواسعة فاستفد من كل المعلومات الموجودة حولك لأنك تسمع الكثير من الأخبار فاليوم للمحبة والدعم والمصالحات.

عاطفياً: الحظوظ مساعدة فساعد نفسك بالهدوء والقرار السليم الذي يفرحك ويسعد من حولك.

القوس

ربما تنتبه إلى أنك اعتمدت على أشخاص غير كفوئين فاحم مصالحك لأن اليوم لعرقلة في العمل فلا تحاول فض الشراكات وابتعد عن التصعيد ولا تنسحب من المعارك ولا تهدم كل ما بنيته فقط لأنك عصبي. عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة وقد تشغلك مشاغل أو عواطف مع أشخاص أصغر منك عمراً فأنت تحلل دوافعك ودوافع الآخرين.

الجدي

أنت لا تتمتع بالصراحة الكافية أو المبادرة الصحيحة وقد تتراكم أعمالك فاطلب مساعدات وحاول أن تبحث عن الراحة لأنك قد تتعرض لوعكة صحية أو تتضايق من كثرة العمل.

عاطفياً: أنت تلمع كشعلة نار وسط الظلام محبوب ومرغوب وحولك الكثير من الدعم ومن المحبة.

الدلو

تتلقى عروضاً مهنية جديدة أو مفاجآت تجعلك أكثر ارتياحاً تدرس تحلل تفاوض فأنت تخوض نقاشات عائلية ربما بدافع الارتباط أو مع شريك لتفرغ قلبك بكلام يعيش داخلك.

عاطفياً: اليوم تقف إلى جانب الضعفاء وتسعد للمساعدات التي تتلقاها ممن حولك.

الحوت

أنت حساس هذا الشهر بل ومرهف الحس من أي خطأ أو غلط صغير قد يرتكبه الشريك أو الأهل فالأمور العاطفية والمالية ليست الأفضل لذلك كنت أنصحك بقبول ما هو موجود والسعي وراء ما هو غير موجود هذا الشهر ولكن بعيداً عن العصبية. عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فقد تعاني من مزاج مكتئب أو حزين اشرح مشاعرك لمن تثق به.